﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ٦٢﴾ [الحجر: 62]

تكملةُ إبرازِ فِطرةِ الإنسانِ إنكارُ الضّيفِ، إنْ جاء على غيرِ وصْفِ الضّيافةِ

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لمّا جاءَ الملائكةُ لوطًا تلقّاهم، كما هو شأنُ كبيرِ المنزل، ولمّا وجدَهم على هيئةٍ وشكلٍ غيرِ الّذي يعرفه ممَّنْ يمرُّ به منَ القبائل، ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُّنكَرُونَ﴾: (نكر): أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ على خِلافِ المَعْرِفَةِ الَّتي يَسْكُنُ إليها القَلْبُ. ونَكِرَ الشَّيءَ وأنكَرَهُ: لَمْ يَقْبَلْهُ قَلْبُهُ وَلَمْ يَعتَرِفْ به لِسانُهُ. والبابُ كُلُّهُ راجعٌ إلى هذا[2]. والإنْكارُ: نَفْيُ الشَّيْءِ وجَحْدُهُ وَرَدُّهُ، يُقالُ: أَنْكَرْتُ حَقَّهُ، أي: جَحَدْتُهُ وَنَفَيْتُهُ، وكُلُّ ما جَهِلَهُ النّاسُ وَجَحَدوهُ فهو مُنْكَرٌ[3]. وتَنْكِيرُ الشَّيْءِ من حيثُ المعنَى جعْلُه بحيث لا يُعْرَفُ، وتعريفُه جعْلُه بحيث يُعْرَفُ. والنُّكْرُ: الدّهاءُ والأَمْرُ الصَّعْبُ الَّذي لا يُعْرَفُ[4]. والمقصودُ بالمُنْكَرِ في الآية: الَّذي يُنكِرُهُ غيرُهُ، أي: لا يَعْرِفُهُ. وأُطلِقَ هنا على مَنْ يُنْكَرُ حالُهُ ويُظنُّ أَنَّهُ حالٌ غيرُ مُعتادٍ، أي: يُخشى أنَّهُ مُضمِرُ سوءٍ[5].

❁ المَعنى الإجْماليُّ:

مجيءُ الملائكة إلى لوط، في صورة ضيوفٍ شبّانٍ، صِباحُ الوجوه، لم يُعرف لهم مثيلٌ منَ الأقوام، ممّا استدعى لوطًا أن يُنكر ما عاين من طلْعتِهم غيرِ المعهودة، ولأيّ غرضٍ هو مجيئُهم، ولأيّ خطْبٍ جَللٍ هو ظهورُهم.

---

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 19/154.
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (نكر).
(3) الخليل، العين: (نكر).
(4) الراغب، المفردات: (نكر).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/358.

۞ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ الاستئنافِ البيانِّي في الآية:

المُسارعةُ إلى البِشارةِ، دأبُ الصّالحين

جاء الكلام على طريق الاستئنافِ البيانيِّ لاسْتِدرار أسماعِ المخاطَبين، وقُدِّمتِ المقاولةُ بين لوطٍ عليه السلام والملائكةِ المرسَلين على ما جرى بينه وبين أهلِ المدينة منَ المُجادلة في ضيْفِه؛ للمسارعة إلى ذكر بشارةِ لوطٍ عليه السلام بإهلاك قومِه وتَنجيةِ آله عَقيبَ ذكْرِ بشارةِ إبراهيمَ عليه السلام بهما، ولمّا كان المعنَى لا يتمُّ إلّا ببيان كيفيةِ نجاةِ لوطٍ وآلِه أُشيرَ إلى ذلك إجمالاً ثم ذُكرَ ما فَعلَ القومُ وما فُعلَ بهم، ولم يُبالَ بتغييرِ التّرتيبِ الوُقوعيِّ ثقةً بمراعاتِه في مواضعَ أخرى[1].

بَلاغةُ الحمْلِ على الظّاهرِ أو على الكنايةِ:

مَنْ أنكرَ شيئًا نفرَ عنه، وخافَ منه

قولُه تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾، يحتملُ أن يكون وصفُهم بالقوم المُنكرين، على ما هو ظاهرُ اللّفظِ ليكونَ بمعنَى: تُنْكِركم ولا نعرفُكم، ولا تُعرفون بأهل هذه البلدةِ؛ لأنَّ قومه إنَّما يعملون ما يعملون بالغرباء؛ لا يعملون بأهل البلدِ، ويحتملُ أن يكونَ الكلامُ على الكنايةِ؛ لأنَّه لو قصدَ بقولِه ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ أنَّه لا يعرفُهم لَما توافقَ مع جوابِ الملائكة: ﴿بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾ فكان المرادُ من: ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ كنايةً عن أنّكم قومٌ أخافُ شرّكم؛ لأنَّ مَنْ أنكرَ شيئًا نفرَ عنهُ، وخافَ منهُ، فيكونُ الكلامُ على الكناية، أي تُنْكِرُكم نفسي وتنفرُ منكم، فأخاف أنْ تَطرقوني بشرٍّ، فلذا أضربوا عنه بما ذُكر، أي ما جئناك لإيصال شرٍّ إليك بل لتمشية أمرِك، وتعذيبِ أعدائك بما توعّدتَهم به[2].

فائِدةُ التّأكيدِ بـ(إنَّ) في السّياق:

الحذرُ منَ الغريبِ معروفٌ، حالةَ تصرُّفِه على غيرِ المألوفِ

أفادت (إنَّ) تأكيدَ مضمون الجملةِ؛ للإشعار بأنَّ لوطًا عليه السلام، كان قد تقرَّرَ في نفسِه إنكارُهم، وأنَّه لا يَشكُّ في هذا.

---

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/84.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 17/114، والزمخشري، الكشاف: 2/583، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/154، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/214، والشهاب، عناية القاضي: 5/531.

دَلالةُ الجملةِ الاسميّةِ المُصدَّرةِ بـ(إنّ):

إنكارُ لوطٍ للملائكة، سببُه هَيْئَتُهمْ التّي جاؤوا عليها

قولُه تعالى: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ فيه أنّه لمّا كانتِ الجملة الاسميَّةُ تدلُّ على الثّبوت عبّرَ بها هنا للمبالغة في الوصْفِ خوفًا منهم أو عليهم.

فائِدةُ الإخبارِ عنِ الملائكة بأنّهم ﴿قَوْمٌ﴾:

عِظمُ المهمَّةِ يدلُّ على قوّةِ منْ جاؤوا بها

عبّرَ بالقومِ مع قلَّة الملائكةِ الذين جاؤوا إليه للإشعارِ بأنَّ لوطًا عليه السلام رأى منهمُ القوّةَ، وأنَّه لابدَّ أن يكون لإتيانِكم هذه البلدةَ خطبٌ عظيمٌ(1).

سببُ مجيءِ صيغة ﴿مُّنكَرُونَ﴾:

إنكارُ لوطٍ للملائكة، ليس بسببِ أمرٍ يخُصُّه

عبّرَ بصيغة المبنيّ للمفعول للإيذانِ بأنَّ كلَّ من تتأتّى منه رؤيتُهم يُنكرهم، ففيه تنبيهٌ لهم بأنَّ إنكارَه لهم أمرٌ لا يختصُّ به، وأنَّ الإنكارَ بسببِ ما هم عليه منَ الهيئةِ وطريقةِ المجيءِ إليه.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/69.